

الدرس السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره وتتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وزدنا علماً ، واجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا ، اللهم إنا نسألك علماً نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا .
ونواصل مستعينين بالله عز وجل القراءة في هذا الكتاب «أصول الإيمان» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

وعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ : ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا)) ، ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه:١٣٠] . رواه الجماعة .

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث حديث جرير بن عبدالله البجلي في باب معرفة الله عز وجل والإيمان به ؛ ففيه الدلالة على أن مما ينبغي أن يعرف به المؤمنون ربهم سبحانه وتعالى أنه جل وعلا يكرم أهل الإيمان وأهل الطاعة والعبادة والإحسان بأعظم كرامة وأجل منة وأعظم عطية؛ ألا وهي رؤيتهم لمن خلقهم وأوجدهم سبحانه وتعالى ، فهذه أكبر المنن وأعظم العطايا ، ولهذا جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ)) بعد أن يأخذ أهل الجنة في نعيمها ويسعدون بما جعل الله سبحانه وتعالى لهم فيها من أنواع النعم والمنن والعطايا والأفضال يسألهم الله جل وعلا ((تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟))

فَيَقُولُونَ: «أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ! وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ»، ((فَيُكْشَفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ)) رواه مسلم في صحيحه ؛ فهذا يدل على أن هذه النعمة هي أعظم النعم ، كرامة الله عز وجل لأهل الإيمان ومنته عليهم سبحانه وتعالى بأن يكرمهم يوم القيامة بالنظر إلى خالقهم الجليل العظيم سبحانه وتعالى ينظرون إليه ، وهذا نظر إكرام وإنعام ويحصل لهم بهذا النظر نضرة في وجوههم وهو حُسن وبهاء وجمال وزينة ، كما قال الله عز وجل: ﴿وَجُوهُهُمْ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ؛ «ناضرة»: أي حسنة بهية جميلة مضيئة مشرقة ، «إلى ربها ناضرة»: أي تنظر إلى الله سبحانه وتعالى بأبصارها يوم القيامة ، قال بعض السلف كلاما معناه : كيف لا تكون ناضرةً وهي تنظر إلى الله!! الإنسان في نظره لأشياء يسيرة جدًا في الحياة الدنيا من المناظر الجميلة أشجار أو نحو ذلك تجلب لقلبه شيء من البهجة والراحة في أمور يسيرة جدا فكيف إذا كان نظر الإنسان إلى النعيم الذي في الجنة!! وكيف إذا كان النظر الإنسان إلى الرب العظيم!! جل جلاله سبحانه ، فهذه أكبر النعم أكبر النعم التي ينالها أهل الإيمان يوم القيامة أن ينظر أهل الإيمان في الجنة إلى من خلقهم وأوجدهم سبحانه وتعالى؛ ينظرون إلى جلاله وجماله وكماله جل وعز ، فهذه أكبر العطايا .

فالمصنف رحمه الله ساق هذا الحديث العظيم ليبين أن مما ينبغي أن يُعرف به الرب سبحانه وتعالى الخالق لهذا الكون الموجد لهذه المخلوقات أن أهل الإيمان سيرونه يوم القيامة ، وهذه خاصة لهم لا يشاركون فيها غيرهم ، خاصةً بهم يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة رؤية إنعام وإكرام وفضل ومنّ ، ويترتب عليها من الخير العائد لهم ما لا يحظر لهم ببال ؛ من نضرة الوجوه ، وقرّة العيون ، وسرور القلوب ، وأنس الخواطر ، وتوالي الخيرات ، إلى غير ذلك من أمور عظيمة ينالها أهل الإيمان .

فنبينا عليه الصلاة والسلام يخبر بهذا الأمر في هذا الحديث فيقول: ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ)) أي يا أهل الإيمان ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ)) وجاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى القمر في ليالي الإبدار في منتصف الشهر ، نظر إلى القمر وهو مكتمل في السماء كلُّ يراه مكتملا فقال عليه الصلاة والسلام وهو ينظر إليه : ((إنكم سترون الله جل وعلا كما ترون هذا القمر)). .

والكاف هنا في قوله ((كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ)) ليست تشبيهاً للمرئي بالمرئي ، وإنما تشبيهاً للرؤية بالرؤية ، أي كما أنكم ترون القمر رؤيةً حقيقيةً بأبصاركم فإنكم سترون الله سبحانه وتعالى ، كما أن رؤيتكم للقمر رؤية حقيقية ترونه من فوقكم رؤية حقيقية الكل يراه الكل ينظر إليه لا يحتاج أن ينضم بعضكم إلى بعض من أجل النظر لدقته أو لحنائه أو لبُعده وإنما الكل يراه ؛ فالتشبيه هنا للرؤية بالرؤية ؛ أي أنها رؤية حقيقية بالأبصار كما أنكم ترون القمر من فوقكم رؤيةً حقيقيةً بالأبصار، هذ معنى قوله ((كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ)) ليلة البدر هي ليلة التمام .

وفي بعض ألفاظ الحديث ((إنكم سترون ربكم يوم القيامة)) فهذه الرؤية ليست حاصلة لأحد إلا في يوم القيامة ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)) ، ولما سئل عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه عندما عُرج به إلى السماء؟ قال ((نورٌ أنى أراه)) فهو عليه الصلاة والسلام لم ير الله جل وعلا عندما عُرج به إلى السماء ، والرؤية رؤية الله عز وجل في الدنيا ليست حاصلة لأحد ولم يجعل الله عز وجل للناس قدرة على هذه الرؤية، لكنه يوم القيامة سبحانه وتعالى يجعل لهم من القدرة والقوة على النظر له جل وعلا .

قال : ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ)) ، ((لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ)) ، ((لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ)) روايات وألفاظ وردت في هذا الحديث وكلها دالة على معاني صحيحة ، ((لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ)) أي لا يحصل لكم ضيم في الرؤية بل الكل يحصل له الرؤية بدون عنت وبدون مشقة ، ((وَلَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ)) أي لا يحصل لكم تضار بسبب تزاحم الناس أو تدافعهم لرؤية أمر معين ، ((لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ)) أي لا يحتاج أن ينضم بعضكم إلى بعض من أجل الرؤية ، وعادة عندما يريد الناس النظر إلى شيء يكون دقيقاً يجتمعون حتى يحدّثوا أو يستطيعوا النظر أو الرؤية ، فكل هذا لا وجود له فسترون الله سبحانه وتعالى رؤية حقيقية بأبصاركم ، وأكد هذا المعنى بعدة مؤكدات صلوات الاله وسلامه عليه ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ ، أَوْ لَا تَضَارُونَ ، أَوْ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ)) .

وينبغي أن يُعلم هنا من سياق هذا الحديث ودلالة أحاديث ونصوص أخرى: أن رؤية الله عز وجل أعظم منال وأكرم نعمة وأفضل عطية ينالها أهل الإيمان ، وهذه العطية والمنة العظيمة الكبيرة لا بد في العبد من أجل أن يحصلها وأن ينالها وأن يكون من أهلها لا بد له من أمور تؤهله لهذه الرؤية ، فهي ليست حاصلة لكل أحد ، ولهذا هنا خاطب أهل الإيمان قال : ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ)) ، فليست كل الوجوه تنتظر ولهذا الله عز وجل قسّم الوجوه في القرآن إلى وجهين يوم القيامة ، قال : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤)

تَنْظُرُونَ أَن يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿ [القيامة: ٢٢-٢٥] نسأل الله العافية والسلامة ، فالوجوه يوم القيامة على وجهين :

١. وجه ناضر؛ يعني حسن بهي جميل يكرمه الله عز وجل بالنظر إليه .

٢. ووجوه عليها غيرة ترهقها قتره محجوبة عن الله ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [الطغفان: ١٥]

إذاً هناك أمور في الدنيا لا بد أن يقوم بها العبد لتؤهله للرؤية وهي الإيمان وتحقيق طاعة الله عز وجل ، فالجنة التي أعظم إكرام وإنعام فيها رؤية الله لا يمكن أن يدخلها أحد إلا بالإيمان ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ)) ، فالإيمان لا بد منه ، والأعمال الصالحة التي ترتفع بها درجات العبد وينال بها عالي المقامات ورفيع الدرجات لا بد منها ﴿ وَكُلٌّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأحقاف: ١٩] ، ولهذا

سيأتي عند المصنف رحمه الله إيراد ما يدل على ذلك من السنة ؛ تفاوت أهل الجنة في نعيم الجنة ، وتفاوت الجنة في درجاتها لتفاوت أهل الإيمان في أعمال الإيمان وطاعاته وتفاوتهم فيها في حياتهم الدنيا . فنبه النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى؛ نبه على الإيمان بقوله ((إِنَّكُمْ)) أي يا أهل الإيمان ((سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) ، ونبه على العمل والتقرب إلى الله عز وجل والمجاهدة مجاهدة النفس على ذلك ولاسيما وبخاصة الصلاة ، ولهذا قال هنا في هذا الحديث : ((فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا)). .

وهنا رعاك الله لا بد أن تنتبه إلى فائدة عظيمة وهي الارتباط بين العقيدة والعمل ، وثمره العقيدة الصحيحة في حسن العمل ، فثمة ارتباط وثيق بينهما ؛ العقيدة الصحيحة الإيمان الصحيح الإيمان الراسخ يورث عملاً يحرك في القلب العمل والعناية بالعمل ، لما ذكر الرؤية التي هي أكمل نعيم وهي عقيدة يعتقدونها أهل الإيمان ، أهل الإيمان يعتقدون من جملة عقائدهم أن أهل الإيمان يرون الله يوم القيامة ، فهذه العقيدة تثمر ماذا ؟ لا تثمر بطالة ، لا تثمر كسلاً، لا تثمر فتوراً إنما تثمر جداً واجتهاداً ، تحرك في القلب شوقاً لنيل هذه الرؤية وطمعاً فيها ، وهذا الشوق والطمع يحرك في النفس إقبالا على الأعمال وعلى الطاعات التي يُنال بها هذا الأمر العظيم ، فالعقيدة تثمر العمل وتحرك في القلب العمل ولهذا هنا قال : ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ)) هذه العقيدة ، العمل الذي يترتب عليها وتتطلبه ما جاء في آخر الحديث في قوله ((فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ)) ، فثمة ترابط وثيق بين العقيدة والعمل، العقيدة تثمر العمل الصحيح تثمر الخلق الفاضل والجد والاجتهاد في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، وكأن الحديث يشار فيه إلى سامعه يقال له : يا من عرفت أن أهل الإيمان يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ويكرمهم بهذه الرؤية فاجتهد أن تكون من هؤلاء بتقديم العمل والطاعة ، واحذر أن تفرط في الصلاة ، لأن تفريطك في الصلاة وتضييعك لها حكمٌ على نفسك بالحرمان من هذا الأمر ، فالذي لا يصلي حكم نفسه بالحرمان من هذا .

وينبغي يا إخوان أن نلاحظ هذه الملاحظة وهي: أن هناك ارتباط وثيق بين الصلاة والرؤية ، الصلاة على وجه الخصوص ولاسيما المكتوبة ، بين الصلاة ورؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة رابطة وثيقة تراها جلية واضحة في كثير من النصوص ، والصلاة سميت صلاة لأنها تصل العبد بالله تبارك وتعالى ، وهي أيضا توصل العبد إلى رؤية الله يوم القيامة ، وانظر هذه الرابطة في نصوص كثيرة منها هذا النص الذي بين يديك الآن؛ ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ)) يعني لا يغلبكم على الصلاة أي غالب، لأنه إذا غلب الإنسان على صلواته حصل له بذلك الحرمان ، حرم نفسه ((فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا)) يعني كأنه يقال إن كنت تريد ولا أحد يأبى ذلك لنفسه إن كنت تريد لنفسك ذلك فحافظ على الصلاة ؛ هذا معنى الحديث ومدلوله .

ففي الحديث ارتباط بين الصلاة والرؤية ، انظر هذا الارتباط في القرآن الكريم بين الصلاة والرؤية ، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] هذا القسم من الوجوه الذي يكرمهم الله سبحانه وتعالى بالرؤية .

انظر إلى القسم الآخر الذي يُحجب ويُمنع ويُجرم ما هي صفاته ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَسِرَةٍ (٢٤) تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالتَّتِ بِالسَّاقِ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٢٤-٣١] هذه من موجبات الحرمان ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ هذا القسم الذي لا ينظر إلى الله سبحانه وتعالى ، من القسم الذين قال عنهم في سورة أخرى في آية أخرى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥-١٦] ، فمن أعمالهم التي استحقوا بها ذلك ما ذكره الله هنا ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ . إذا المفهوم هنا أن أولئك ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ من أهل الصلاة ، والصلاة هي التي أوصلتهم وغيرها من الطاعات أوصلتهم إلى هذا الثواب العظيم .

فالرؤية مرتبطة بالصلاة ولهذا جاء في حديث عمار بن ياسر في سنن النسائي وغيره بسند ثابت أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يدعو في صلاته ((اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَيَّ الْخَلْقِ أَحْيِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي)) إلى قوله في هذا الدعاء ((وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرَبِّنَا الْإِيمَانَ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ)) ، ولاحظ أيضا الارتباط بين الصلاة والرؤية في هذا الحديث ؛ فبيننا عليه الصلاة والسلام في الصلاة التي هي من أعظم موجبات نبل الرؤية يسأل الله عز وجل لذة النظر قال : ((أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ)) لذة النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى هي أعظم لذة وليس في اللذات لذة تدانيها أو تقاربها ، أعظم لذة على الإطلاق هي لذة النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى ، فيقول هنا ((أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ)) ولذة النظر غاية ، والشوق إلى لقائه وسيلة لنيل هذه الغاية ، وقدم الغاية لعظمها وفخامتها ، ((أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ)) هناك شوق في القلب يحدو الإنسان يحركه بيعته يدفعه إلى الأعمال والقربات إلى الله عز وجل حتى ينال هذا الفوز العظيم والنعيم المقيم .

قال: ((فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ)) أي أسألك أن يكون نيلي لهذا الأمر في غير ضراء ولا فتنة ، قال العلماء: لا تكون الرؤية إلا بعد الموت كما تقدم الحديث بهذا ، والموت قد يطلبه الإنسان لنفسه لضراء أصابته ولهذا جاء في حديث آخر : ((لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ)) ، فقد يطلب الإنسان الموت لضراء

أصابته فيريد الموت للخلاص من هذه الضراء ، أو أيضا يصاب الناس في زمانه بفتن فيحشى على نفسه منها فيتمنى الموت خوفا من الفتن ، فهنا يحقق هذا الدعاء ويخلص هذا الدعاء أنه يسأل الله عز وجل النظر إليه ولذة النظر إليه شوقا إلى الله عز وجل ليس طلبا للموت فراراً من مصيبة ألمت بالإنسان في الدنيا أو ضراء أصابته في الدنيا ، وليس أيضا فراراً من فتنة، وإنما هو في شوق وفي طمع وفي لهف وفي رغبة تملأ جوانحه لرؤية الرب العظيم سبحانه وتعالى .

قال: ((وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ)) وهذا مما يوضح لكم الارتباط بين الإيمان طاعاته ، ومن طاعاته العظام الصلاة ، والصلاة إيمان ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم الصلاة إيمان ، فانظر الارتباط الذي أشير إليه أيضا فيما سبق .

حديثنا يقول فيه عليه الصلاة والسلام ، هنا لفتة لا بد نقف عندها ، يقول ((فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا)) قف هنا متأملا ودقق النظر وزد في التأمل في قوله عليه الصلاة والسلام «تغلبوا» ماذا تستفيد منها ؟ ((فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا)) ماذا تستفيد من هذا البيان؟ يعني كأنه يقال لك : هذه الرؤية وهذه منزلتها وهذه مكانتها وهذه الصلاة هي أعظم ما تنال به الرؤية وانتبه في الدنيا أشياء كثيرة ستغلبك على الصلاة ، فانتبه أن تغلب على صلاتك لا يغلبك على صلاتك أي شيء .

((فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا)) ؛ الصلاة التي قبل طلوع الشمس هي صلاة الفجر ، والصلاة التي قبل غروبها هي صلاة العصر ، وهاتين الصلاتين في النصوص خصوصية عظيمة جدا ، وورد فيهما نصوص خاصة من ضمنها قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ)) الملائكة الذين يتعاقبون على الناس بالليل والنهار يجتمعون في هذين الصلاتين ((ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَأثُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ)) لما جاءوا الفجر وجدوهم في صلاة ، ولما سعدوا العصر كانوا في صلاة ، والذين جاءوا بعدهم أيضا وجدوهم في صلاة لما أتوهم ، ولما سعدوا منهم كانوا أيضا في صلاة الفجر ، وهؤلاء الملائكة الذين يتعاقبون يرون عباد الله عندما ينزلون في صلاة وعندما يصعدون في صلاة ((تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ)) ، النائم على فراشه والمشتغل بأعماله واللاهي عن صلاته ليس داخل مع هؤلاء ، هذا يختص بالمصلين ((تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ)) ، الذي ينام عن صلاة الفجر محروم هذا والذي ينام عن بقية الصلوات أيضا محروم .

وقد تسأل هنا لماذا خصت هنا صلاة الفجر وصلاة العصر بالذكر؟ خصت هاتان الصلاتان بالذكر لأنهما أعظم الصلوات وفيهما من الفضائل والخصائص ما ليس لغيرهما ، فإذا حافظ عليهما العبد فإن هذا يدفعه إلى المحافظة

على ما سواهما ، وإذا ضيَّعها العبد فهو لما سواهما أضيع من بقية الصلوات وغيرها من الطاعات ، وصلاة الفجر تأتي في مفتح اليوم وباكورته وأوله ، فمن منَّ الله عز وجل عليه ولم يُغلب على صلاة الفجر وأحسن في صلاته كانت هذه الصلاة عوناً له على أداء بقية الصلوات ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فإذا استهل يومه بنشاط وهمة وتعوذ من الشيطان وذكر الله إقبال على صلاة الفجر سيكون أيضا بعون الله محافظا على بقية الصلوات ، فلأجل هذا خص هاتين الصلاتين بالذكر ، قال: ((فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا)).

أيضا لمزيد الفقه في هذا الباب؛ لك أن تسأل ما هي الأمور التي تغلب الناس على صلاتهم؟ وهذا من الأمور المهمة التي ينبغي أن تنتبه لها ، ما هي الأمور التي تغلب الناس على صلاتهم؟ تعرفها حتى لا تغلبك على صلاتك ، ما هي الأمور التي تغلب الناس على صلاتهم؟ صلاة الفجر كثيرا ما يغلب الناس عليها ، تجد الأذان أذن والمنادي نادى «الصلاة خير من النوم» وهذا مستمر في نومه إلى طلوع الشمس ، اليوم وغداً وبعد غد وهو على هذه الحال ، ما الذي غلبه هنا؟ غلبه النوم وما يسبق النوم من طول في السهر ، سهر في لهو وباطل ونوم عن فرائض ، يسهر في لهو وفي باطل وفي ضياع وينام عن فريضة كتبها الله سبحانه وتعالى عليه!! فأبي حرمان أفضع من هذا؟! أن يضيع ليله في لهو وباطل وأن يبدأ نهاره بتضييع الفريضة ، فأبي حرمان أفضع من هذا؟ الليل يضيع في لهو وباطل! والنهار يفتح بتضييع فريضة من فرائض الله سبحانه وتعالى التي كتبها جل وعلا على عباده !!

أيضا يغلب الناس على صلاتهم: اللهو والإقبال على الدنيا والتكالب عليها وملاً القلب بها ؛ هذه أمور تغلب الناس على صلاتهم ، أصبح الآن من الناس من يغلبه على صلاته فنجان شاي ، بيده فنجان الشاي يصبه ؛ ماء حار في داخله ورق أحمر وينادى للصلاة فيجلس يشرب الشاي ما يريد أن يترك الشاي والصلاة يتركها!! أمور كثيرة الآن حتى أشياء من أتفه وأحقر الأمور تغلب الناس على صلاتهم ، وأصبح الصلاة في ميزان كثير من الناس لا قيمة لها، وقد قال بعض السلف رحمهم الله كلمة عظيمة جدا معناها : من أراد أن يعرف وزن الإسلام في قلبه فلينظر إلى وزن الصلاة عنده ، لأن حظك من الإسلام بحسب حظك من الصلاة ، ومن ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع ، ومن حافظ على الصلاة كما قال عليه الصلاة والسلام : ((كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ)) ، الصلاة نور تضيء للإنسان طريقه في هذه الحياة وبرهان على إيمانه وحسن صلته بربه سبحانه وتعالى ، ونجاة له يوم القيامة فيلقى الله عز وجل يوم القيامة مصليا مقبلا مطيعا لله جل وعلا .

قال : ((إنكم سترون ربكم يوم القيامة فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا)) ؛ قوله «فافعلوا» فيه تنبيه للمجاهدة ، مجاهدة النفس ومداومة جهادها على المحافظة

على الصلاة ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] . اللهم اجعلنا من المقيمين الصلاة ، ومُنَّ علينا يا ذا الجلال والإكرام بلذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠] هذه الآية فيها إشارة إلى هاتين الصلاتين ؛ صلاة الفجر التي هي قبل طلوع الشمس ، وصلاة العصر التي هي قبل غروبها .

قال رحمه الله تعالى :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتَهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بَدَّ لَهُ مِنْهُ)) رواه البخاري .

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث العظيم في باب معرفة الله عز وجل والإيمان به ، والحديث يدل على أن مما ينبغي أن يعرف المؤمن به ربه سبحانه وتعالى أنه عز وجل يتولى أوليائه والصالحين من عباده بحفظه وكلاءته ورعايته سبحانه وتعالى ، يتولاهم بتوقيفه وتسديده وعونه ، يتولاهم بحفظه ونصره جل وعلا ؛ هو وليهم ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، ﴿ إِنْ اللَّهُ يُدَافِعْ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج: ٣٨] ، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] . فأولياء الله والصالحين من عباده يبين هذا الحديث ما لهم من الفضل والتوفيق والحفظ والتسديد والمعونة من الله جل وعلا ، فهذا مما ينبغي أن يُعرف به الله جل وعلا ؛ فيقبل العبد على الله عز وجل ويجاهد نفسه ليكون من أولياء الله .

وباب كون العبد من أولياء مفتوح لكل أحد ، لا يختص بجنس دون جنس أو لون دون لون أو نسب دون نسب لا يختص بأحد ، الباب مفتوح لكل أحد ؛ بمجاهدة النفس على تحقيق أمرين الإيمان بالله وتقواه ينال العبد الولاية ويكون من الأولياء ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً» ، فبالتقوى والإيمان تنال ولاية الله عز وجل ، لا تنال الولاية بدعوى يدعيها الإنسان أو نوع لباس يتميز به الإنسان أو مظاهر يتظاهر بها أو نحو ذلك

لا تنال الولاية بهذا، وإنما تنال الولاية بشيء بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

واجتماع الإيمان والتقوى يدل على أمرين يلزم العبد لزومهما والمحافظة عليهما وهما: العناية بالأوامر فعلا ، والبعد عن الناهي والمحرمات وما نهى الله تبارك وتعالى عباده عنه . فالإيمان تعني فعل الأوامر والطاعات مع صلاح المعتقد، والتقوى تعني اجتناب المحرمات واتقائها والبعد عنها ، فمن كان بهذه الصفة نال هذه المنزلة العلية والرتبة الرفيعة .

والحديث هنا فيه بيان ما للأولياء من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة عند رب العالمين وخالق الخلق سبحانه وتعالى ، ولهذا يقول الله عز وجل في بيان مكانة أوليائه ومنزلتهم قال : ((إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)) وهذا فيه أن من بارز أولياء الله بالعدوان والظلم والإساءة والاعتداء فقد آذنه الله جل وعلا بالحرب، ومن آذنه الله عز وجل بالحرب فقد تحقق هلاكه في دنياه وأخراه، لأنه سبحانه وتعالى بيده أزمة الأمور ومقاليد السماوات والأرض، عطاؤه كلام وعذابه كلام سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)) أيضا يفهم من الحديث كما نبه العلماء أن من صافى الأولياء وأحبهم وعرف مكانتهم وقدرهم فقد فاز برضا الله سبحانه وتعالى ، وهذا المعنى ما جاء في الحديث ((أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ)) ، فمن أحبهم في الله سبحانه وتعالى فاز برضا الله سبحانه وتعالى ومن عادى أولياء الله وتلقاهم بالشنئان والبغض والعدوان والظلم ونحو ذلك فقد آذنه الله سبحانه وتعالى بالحرب ، قال ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)) .

ثم ذكر صفة الأولياء ، كأنه قيل : من هم الأولياء ، الله قال: ((من عادى لي وليا)) فكأنه قيل من هم الأولياء ما هي صفتهم ؟ فذكر جل وعلا في هذا الحديث القدسي أن أوليائه على درجتين وعلى مرتبتين:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الدرجة الأولى بينها في قوله سبحانه وتعالى : ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ)) هذه مرتبة من مراتب الولاية: المحافظة على الفرائض ، حفظ الفرائض والمحافظة عليها والبعد عن المحرمات ما حرمه الله عز وجل لعباده ، وهذه الدرجة يسميها أهل العلم «درجة المقتصدين» وإليها الإشارة في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢] ، والمقتصد : هو الذي يحافظ على الفرائض ويترك المحرمات ؛ هذا ولي من أولياء الله، ويوم القيامة يدخله الله سبحانه وتعالى الجنة بدون حساب ولا عذاب ، من حافظ على الفرائض وترك المحرمات دخل الجنة يوم القيامة بلا حساب ولا عذاب .

﴿وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ﴾)) هذه الدرجة الثانية وهي أعلى وأسمى من هذه الدرجة إليها الإشارة هنا في هذا الحديث في قوله :
 ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ)) هذه الدرجة الثانية وهي أعلى من الدرجة الأولى ، هذه
 الدرجة فيها ما في الدرجة الأولى وهو المحافظة على الفرائض وترك المحرمات وزيادة على ذلك بالعناية بالنوافل .
 وانتبه لقوله ((ولا يزال)) لأن هذه الكلمة كما يقول العلماء تفيد الاستمرار والمداومة ، ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي
 يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ)) يعني مستمرا مداوما محافظا على النوافل ، هذه الدرجة الثانية وهي أعلى وهي درجة
 المقربين أو قل أيضا «درجة السابقين بالخيرات» .

قال عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
 بإذنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] وقد قال العلماء: المقتصد والسابق بالخيرات كلاهما يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب
 دخولا أوليا ، من كان محافظا على الفرائض مبتعدا عن المحرمات ، ومن كان أيضا محافظا عليها وإضافة إلى ذلك
 مسابقا في الرغائب والنوافل والمستحبات ؛ فهذان يدخلان الجنة بدون حساب ، ورتبتهما في الجنة ليست
 متساوية، السابقون لهم درجة عالية ، والمقتصدون لهم درجة دون ذلك ، ولهذا سيشير المصنف رحمه الله في
 الحديث الآتي إلى هذا المعنى بذكر الجنات التي في الجنة جنة المقربين وجنة المقتصدين ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
 جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] ، ﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] يشير إلى هذا المعنى في الحديث القادم .

وإتيانه بالحديث القادم بعد حديث الولي في غاية المناسبة ؛ لأن حديث الولي ذكر أن أولياء الله عز وجل ... على
 كل أحد ، فهي لا تنال بمجرد الدعوى وإنما تنال بمجاهدة ولاحظ المجاهدة هنا ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ)) يعني حتى ينال منزلة
 عظيمة عند الله سبحانه وتعالى في المحبة ، وإلا فإن من يؤدي الفرائض ويترك المحرمات له نصيب وحظ من حب
 الله تبارك وتعالى له ، لكن الذي حافظ على النوافل نصيبه أوفر وحظه أعظم ، ولهذا قال: ((حتى أحبه)).

ثم انظر ماذا يترتب على حب الله عز وجل لوليه ؟ قال : ((حَتَّىٰ أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ)) هذه ثمار وآثار ((فَإِذَا
 أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ،
 وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ)) أي أنه سبحانه وتعالى يؤيده ويسدده في سمعه وفي بصره وفي
 قدمه وفي يده ويستجيب دعاءه ويكون محفوظا بحفظ الله سبحانه وتعالى له ، هذا معنى قوله كنت سمعه وكنت
 بصره وكنت يده وكنت قدمه ؛ أي أنه سبحانه وتعالى يسدده في سمعه وفي بصره وفي يده ، هذا معنى الحديث .

وقد أساء قوم أعظم إساءة عندما توهموا معنى فاسد في قوله «كنت سمعه» أي أن سمع الإنسان يصبح سمع الله
 وبصر الإنسان يصبح بصر الله إلى غير ذلك من الكلام الباطل الذي لا يقوله من عرف دين الله عز وجل ومن
 عرف الله سبحانه وتعالى ، والله جل وعلا ذكر في الحديث سائلا ومعطيا ، عبداً ومعبودا ، رباً ومربوباً ، حافظاً

ومحفوظا ، كل هذه ذكرت مفصول بينها ، الله عز وجل بصفاته وهذا العبد بصفاته ، إذا ما معنى ((كنت سمعه كنت بصره كنت..)) ؟ أي أن الله عز وجل يؤيده بسمعه وبصره وقدمه ويتولى حفظه سبحانه وتعالى ، ولهذا قال: ((بي يسمع وبى يبصر)) يعني بتأييد الله له وبعونه وبحفظه وتوفيقه سبحانه وتعالى له ، هذا معنى قوله ((كنت سمعه الذي يسمع به..)) إلى آخر الحديث .

وهنا انتبه رعاك الله إلى فائدة عظيمة جدًا تعالج مشكلة نراها ظاهرة في حياتنا جميعا ، وهي راجعة إلى كثرة تفريطنا وتضييعنا في مجاهدة النفس على العبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ؛ وهي كثرة المشاكل والأمور التي تقلق الإنسان ، سواء ما يصل إليه منها من طريق السمع أو ما يصل إليه من طريق البصر أو ما يصل إليه من طريق اليد أو ما يصل إليه من طريق القدم ، وقلة التوفيق في الأمور وقلة التسديد ؛ فالحديث يعطيك العلاج يعطيك الدواء الناجع لحل هذه المشكلة وهو أن تقبل على الله سبحانه وتعالى ، ونيلك التسديد والتوفيق والمعونة في سمعك وفي بصرك وفي قدمك وفي سيرك وفي رواحك وفي أمورك كلها نيلك هذا التسديد والتوفيق بيد الله ، ولا تناله إلا إذا فعلت ما تنال به رضا الله والإقبال على طاعة الله سبحانه وتعالى . فالحديث يفتح لك باب التوفيق وباب التسديد وباب نيل معونة الله سبحانه وتعالى لك في أمورك كلها ؛ أن تصلح ما بينك وبين الله سبحانه وتعالى .

وهذا ينبهك على خطأ دارج عند كثير من الناس عندما يُنبه أحدهم على خطأ يفعله أو أمر يقع فيه تجده مثلا يقول "الله يهديني أو اسأل الله أن يهدينا" لكنه ما يجاهد ، الحديث ينبه إلى الخطأ هذا ، لا بد مع قولك "الله يهدينا أو اللهم اهدنا أو ادعوا الله أن يهدينا" مع هذا لا بد أنت أن تجاهد نفسك ((لا يزال عبدي)) مجاهدة ، يجاهد الإنسان نفسه في المحافظة على الفرائض ويجاهد نفسه في الجد والاجتهاد فيما استطاع من النوافل تأتيه الثمرة العظيمة؛ يجبه رب العالمين ثم تأتي الثمار التي وراء ذلك؛ يسدده في سمعه يسدده في بصره يسدده في قدمه يسدده في يده ، يجيب دعاءه ((وَإِنْ سَأَلْنِي لِأَعْطِيَنَّهٗ ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهٗ)) إن طلب من الله شيئا أعطاه ، وإن استعاذ بالله تبارك وتعالى واعتصم به من شيء أعاده ووقاه وحماه ، فهذه الأمور ثمار للمجاهدة التي دل عليها الحديث .

فالحديث ينبه العبد إلى أن ولاية الله سبحانه وتعالى لا بد فيها من المجاهدة ، مجاهدة النفس على أولا حفظ الفرائض ثم بعد ذلك النوافل ، وانتبه هنا لتقديم الفرائض على النوافل ، لأن الفرائض مقدمة وبها يبدئ ، بعض الناس تجده يحافظ على بعض النوافل ويفوت بعض الفرائض ، وبعضهم نسأل الله العافية والسلامة يحافظ على بعض البدع لا يفوتها ويضيع الفرائض ، وهذا من عجائب الناس ؛ بعض البدع ما يمكن يفرط فيها ولا يساوم فيها ومهما كانت ظروفه ما يضيعها ، بدع ما أنزل الله بها من سلطان ، والفرائض مضيعة!! ثم ربما يأتيه إحساس داخلي وهو مضيع للفرائض ومحافظ على البدع أنه من أولياء الله ، وربما بعضهم يخبر بذلك؛ يلبس زيا معينا وهيئة

معينة من اللباس ويضيع فرائض الله سبحانه وتعالى ويحافظ على بدع لا دليل عليها لا في كتاب ولا في سنة ويشار إليه بين أصحابه بالبنان "هذا ولي من أولياء الله" ، وهو ربما أيضا يخبر عن نفسه بذلك . وبعضهم ربما قال بل قال بعضهم "لا أعلم وليا لله إلا فلان وفلان وأنا" ، وهذه كلها من حماقات أهل الضلال وأهل الضياع والعياذ بالله .

والولي الصادق ما هو شأنه؟ هل هو يأتي عند الناس ويقول أنا ولي وأنا صاحب كرامات؟ هل عهدتم واحد من الصحابة أو غيرهم كان يقول ذلك؟ لا والله ، قال الله عن أوليائه: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] ، يقول عبدالله بن أبي مليكة «أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه» ما منهم من يزكي نفسه ويقول أنا ولي من أولياء الله ، والله يقول في القرآن: ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢] أي تزكية للنفس أن يدعي الإنسان لنفسه أنه من الأولياء!! ولهذا لا يصح أن يدعي هذا الأمر الإنسان لنفسه ولا يدعيه لغيره ، يعني لو رأيت شخصا عليه ظاهر الصلاح والاستقامة والمحافظة على الفرائض والمحافظة على النوافل لا تجزم ولكن قل "نحسبه من الأولياء، نرجو أن يكون من الأولياء" أو نحو ذلك أما الجزم لا ، لا يجزم به ، إذا كان قتيل المعركة الذي يرفع السيف ويبلي بلاء عظيما في النكاية بالأعداء لا يجوز أن يقال شهيد! وفي صحح البخاري «باب لا يقال فلان شهيد» لماذا؟ لأن الشهادة تترتب على أمر يوجد في القلب ما نراه وهو ماذا؟ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، هناك قتال للحمية ، وهناك قتال للعصبية ، وهناك قتال لأغراض أخرى ، وهذه كلها مكانها القلب لا يطلع عليها الناس ، «باب لا يقال فلان شهيد» وأورد من النصوص ما يدل على المنع من ذلك، لكن من قُتل في المعركة ورآه الناس أبلى بلاء حسنا يقال ماذا؟ "نحسبه من الشهداء ، أرجو أن يكون من الشهداء، هو من الشهداء إن شاء الله" أو نحو ذلك ، أما الجزم لا . والولاية هذه المنزلة العظيمة لا يجزم بها لأحد، لكن إذا رؤي شخص ظاهره الصلاح والاستقامة والمحافظة على طاعة الله سبحانه وتعالى يقال "نحسبه، نرجو" أو نحو ذلك أما الجزم لا ، لا يجزم بذلك لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴾ ولأدلة أخرى كثيرة.

وهذا الذي يبين لكم الفرق بين حال الأولياء الصادقين من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان وحال غيرهم ، ما كان أحد من الصحابة يدعي لنفسه ذلك ، ولو تقرأ سيرهم ترى عجبا ، حتى إن الحسن البصري رحمه الله قال كلمة عجيبة ، قال : «إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة ، والمنافق جمع بين إساءة وأمن» تجده مضيع للفرائض ويظن أنه أحسن الناس ، والمؤمن تجده في جد واجتهاد ومحافظة على العبادة وفي الوقت نفسه في خوف ، وهذا هو معنى الآية ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] ، قالت عائشة رضي الله عنها كما في المسند وغيره

بسند ثابت قالت: «قلت يا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ؟» قَالَ: ((لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ)) هذا هو معنى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ أي خائفة أن يرد عليهم عملهم ، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٧] .

فالشاهد أن العبد في هذا الباب العظيم يجاهد نفسه وهو يجمع بين الرجاء والخوف ؛ يرجو رحمة الله ويخاف عذابه ولا يدعي لنفسه رتبةً عليّة أو منزلة رفيعة وإنما يرجو الله ويقول أنا مقصر وأنا مفرط ، ولا يزال في المجاهدة إلى أن يلقي الله سبحانه وتعالى وهو على حال ينال بها أعظم منال بإذن الله سبحانه وتعالى .
ثم قال في تمام الحديث: ((وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ)) أي أنه سبحانه وتعالى يجب دعاء من كان بهذه الصفة ولا يردّه في مسائل ((وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ)).
يقول الله سبحانه وتعالى: ((وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بَدَ لَهُ مِنْهُ)) ؛ وهذا فيه من المعرفة بالله سبحانه وتعالى: معرفة فضله وكرمه ولطفه ورحمته وإحسانه ومكانة عبده المؤمن عنده سبحانه وتعالى ، مع أنه جل وعز غني عن المؤمن ، لا تنفعه طاعته إن بقي حيا ، ولا تضره معصية من عصي ، لكن هذا الكرم هذا الجود هذه الرحمة هذا اللطف والإحسان منه جل وعز ؛ فانظر هذا الكرم وتأمل هذا اللطف والإحسان .

يقول الغني سبحانه وتعالى ((وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ)) أي أنه سيفعله سبحانه وتعالى كتب ذلك وقدره وقضاه ((تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ)) وانتبه هنا رعاك الله لا يخطر ببالك التردد الذي تفهمه من صفة الإنسان ، التردد الذي هو في صفة الإنسان هذا يليق بالإنسان وبضعفه وبعجزه وبقلة علمه وقلة بصيرته ، الإنسان عندما يتردد في أمر أن يفعله أو لا يفعله يكون تردده مبني على ماذا؟ قد يكون تردده مبني على جهل بالعواقب ، ما يدري هل الأصلاح كذا أو الأصلاح كذا فتجده متردد ، ولهذا شرع لنا إذا تردد الإنسان في أمر أو تحير أن يصلي صلاة الاستخارة ويفوض الأمر لمن أحاط بكل شيء علما ، ((اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ؛ فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب)) يفوض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى. هذا تردد العبد وهو مبني على جهل بالعواقب ، ولا يجوز بحال عندما تقرأ صفات الله سبحانه وتعالى أن تُخطر في بالك أو تورّد في ذهنك أوصاف المخلوقين هذا باطل ، فصفات الله جل وعلا التي أضافها إلى نفسه تليق بجلاله وكماله ، فنحن نثبت ما أثبتته الله لنفسه وهو قوله ((ما ترددت)) نثبت هذا كما أثبتته الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي الوقت نفسه نثبت معه كمال العلم المحيط العلم بما كان وما يكون وبما لم يكن أن لو كان كيف يكون ، وأنه عز وجل أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ، نؤمن بذلك كله .

فإذًا التردد الذي ذكر هنا وأضافه الله سبحانه وتعالى لنفسه في هذا الحديث القدسي ما معناه ؟ الجهل بالعواقب رب العالمين منزعه عنه ، أحاط بكل شيء علما ، ما معناه ؟

قال مبينا معناه في الحديث نفسه: ((وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بَدَ لَهُ مِنْهُ)) هذا هو التردد: أن الله سبحانه وتعالى فاعل شيء وهو قبض روح المؤمن ، والعبء يكره الموت والله عز وجل يكره مساءة العبد ، قال ((وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ)) يعني فاعل ذلك سيقبض الله روحه ، لكن قال ((يَكْرَهُ الْمَوْتَ)) والله يكره المساءة فهذا معنى التردد في الحديث . ولا يصح لإنسان أن يقول "لا يجوز أن يُثبت هذا لله لأن التردد يعني الجهل بالعواقب والله منزعه عن ذلك" ، يكون قائل هذه الكلمة جمع بين سيئتين ما هما ؟ التشبيه أولا والتعطيل ثانيا ، أولا شبه التردد الذي أضيف إلى الله بالتردد الذي يُعهد في المخلوق ، ثم بنى على هذا التشبيه تعطيل ما أثبتته الله سبحانه وتعالى لنفسه ، وهذه جادة باطلة جمعت بين سوءتين ، والسلامة في هذا الباب أن ثبت لله ما أثبتته سبحانه وتعالى لنفسه على الوجه اللائق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى .

وإذا أردت أن تتأمل هذا المعنى في أقوى صورته تأمل في فضل قبض الله جل وعلا لروح عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم خليل الله عليه الصلاة والسلام ، ولهذا نبه عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى وأشار إليه عندما قال ((مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَذْكَرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ)) فقَبَضَ اللهُ عز وجل روح عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وخليله صلوات الله وسلامه عليه وحمل عليه الصلاة والسلام ميتاً ووضع في الأرض ودفن في التراب صلوات الله وسلامه عليه وهو خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام .

قال رحمه الله تعالى :

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)) متفق عليه .

ثم أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث العظيم أيضا في باب معرفة الله سبحانه وتعالى ، وأن مما نعرف الله به أنه ينزله سبحانه وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا كما أخبر بذلك الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام . وهذا الحديث حديث متواتر رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرابة الثلاثين صحابي كلهم سمعوه عليه الصلاة والسلام يقول هذا ، يقول ((ينزل ربنا)) أثبت النزول وأضافه إلى الله جل وعلا ، قرابة الثلاثين صحابيا عددهم ابن القيم رحمه الله

في كتابه الصواعق المرسله ثمان وعشرين كلهم سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول ((ينزل ربنا)) يضيف النزول إلى الله سبحانه وتعالى ينزل ربنا إلى السماء الدنيا .

وهنا أيضا ينبغي أن تنتبه إلى ما سبق بيانه وإيضاحه الصفات التي تضاف إلى الله جل وعلا تخصه وتليق به ، وإذا خطر ببالك اللوازم التي تلزم صفة المخلوق فثق تماما أن رب العالمين واعلم تماما ويقينا أن رب العالمين منزه عن ذلك، الآن عندما تنظر في نزول المخلوق تجد أن نزول المخلوق يلزمه لوازم كثيرة تعرفها أنت من نزولك ونزول غيرك من الناس ، هذه لوازم المخلوق ومن الباطل والفساد والضلال أن تضاف اللوازم التي تخص المخلوق إلى الخالق سبحانه وتعالى ، فعليك هنا عندما تقرأ هذا الحديث وأمثاله أن تثبت الصفة لله جل وعلا على الوجه اللائق بجلاله ، وإياك وأن تشبه الله عز وجل في صفاته أو في شيء منها بصفات المخلوقين أو بشيء من صفاتهم .

فهنا يقول: ((ينزل ربنا)) نحن أيضا نقول كما قال عليه الصلاة والسلام : ((يُنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا)) ، نقول كما قال عليه الصلاة والسلام وكما نقل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، خلافا لأهل البدع ممن جحدوا ذلك ونفوه وعطلوا هذه الصفة وقالوا بكل صراحة النزول لا يليق به ، هكذا قالوا وكأنهم أعلم بالله من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر عن ربه جل وعز أنه ينزل وهم يأتون فيما بعد ويقولون النزول لا يليق به ، ثم ماذا يذكرون؟! يذكرون اللوازم التي تلزم نزول المخلوق وبناءً عليها بحثوا نزول الخالق سبحانه وتعالى فجمعوا بين المساءتين مساءة التشبيه ومساءة التعطيل ، ولو سلموا من التشبيه لسلموا من التعطيل . فالواجب هنا وفي كل الصفات أن تثبت الصفة لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به ، أحد السلف سئل عن النزول فأجاب فيه بما أجاب مالك رحمه الله في الاستواء فقال : «النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» ، وقل مثل هذه الكلمة في كل صفة من صفات الله تبارك وتعالى .

((ينزل ربنا)) النزول هنا أضيف إلى الله وأسند إليه ، فالذي ينزل هو الله ، قال المعطلة لهذه الصفة والمشتغلون بتعطيل الصفات : ليس النزول نزول الله سبحانه وتعالى وإنما النزول نزول ملك ، قالوا والمعنى في قوله ((ينزل ربنا)) ينزل ملك ربنا ، قالوا فيه محذوف مقدر ، والمحذوف المقدر لم يكتشفه إلا هؤلاء في عصور متأخرة!! النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكره والصحابة ما ورد على ألسنتهم والتابعون لهم بإحسان لم يأت على ألسنتهم حتى جاء زمن أولئك واكتشفوا هذا المحذوف المقدر!! قالوا هناك محذوف مقدر تقديره ملك ربنا . إذا وضعت هذه الزيادة في الحديث ماذا سيكون معنى الحديث؟ أكملوا الآن الحديث حتى تعرفوا فساد ما عليه هؤلاء ، أكملوا الحديث وأضيفوا هذا المحذوف المقدر الذي قاله هؤلاء وانظروا ماذا سيحصل الآن في الحديث ؟ ولنقرأ الآن الحديث بالمحذوف المقدر المدعى في كتب أكثر أهل الكلام ، ماذا سيكون ؟ "ينزل ملك ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة

فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفري فأغفر له" . إذا الملك ادّعى نفسه إله من دون الله ؛ ينزل كل ليلة وليس ليلة واحدة كل ليلة ينزل ويدّعي أنه إله يقول من يسألني فأعطيه من يستغفري فأغفر له من يدعوني فأستجيب له، والله عز وجل قال في القرآن: ﴿ وَمَنْ يُقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩٠] فهؤلاء ترتب على مفاهيم هذا اللازم . وجاء في بعض ألفاظ هذا الحديث في بعض طرقه أن الله عز وجل يقول: ((ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر فيقول لا أسأل عن عبادي أحداً غيري)) ، أيضا إذا أضيف هذا المحذوف المدعى وقيل "ينزل ملك ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول لا أسأل عن عبادي أحداً غيري" فهذا يبين لك فساد هذا الكلام ، ويريدون أن يفروا من شيء ويقعون في شر منه ، فالسلامة لا تكون إلا بالوقوف على قدم التسليم ، وأن يثبت الإنسان لله ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله عليه الصلاة والسلام من صفات الكمال ونعوت الجلال ، يثبت ذلك لله على الوجه اللائق به .

ثم هذا الحديث فيه ما في قبله من الارتباط بين العقيدة والعمل ؛ فأخبر عليه الصلاة والسلام أن الله ينزل في ثلث الليل الآخر ثم نبه على الجد والاجتهاد في ذلك الوقت في العمل بالسؤال والدعاء والاستغفار ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] ، ﴿ وَالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٨] وبالصلاة وبذكر الله جل وعلا ودعائه وهذا عمل يترتب على قوة إيمان العبد واستحضاره لهذا المعنى الجليل وهذه العقيدة العظيمة الثابتة في هذا الحديث . وبهذا أيضا تدرك أمرا نبه عليه العلماء وهو: أن تعطيل الصفات وجحدها وتأويلها شؤم على الإنسان في أعماله وتعطيل له في طاعته لربه سبحانه وتعالى .

فالشاهد أن هذا الحديث مما يرشد إليه ويدل عليه في معرفتنا بربنا سبحانه أنه ينزل كل ليلة في ثلث الليل الآخر ويقول: من يسألني؟ من يدعوني؟ من يستغفري؟ ؛ فهذا وقت فاضل ووقت إجابة الدعاء يتفضل الله سبحانه وتعالى فيه بالنزل إلى سماء الدنيا نزولا يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى وعظمته ، الله أعلم بكيفيته سبحانه وتعالى ويقول من يسألني من يستغفري من يدعوني ، فهذا يحرك في العبد إقبالا على الطاعة والذكر والاستغفار والدعاء في هذا الوقت الفاضل العظيم .

قال رحمه الله تعالى :

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ آيْتُهُمَا ، وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءً الْكَبِيرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ)) رواه البخاري .

ثم ختم هذا الباب رحمه الله بهذا الحديث الذي فيه بيان معرفة الله عز وجل ببيان ما أعده لأوليائه وعباده وما هيا لهم من النزل في دار كرامته جل وعز ؛ فذكر هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا)) ؛ فهذا الحديث فيه التفاوت في نعيم الجنة وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأحقاف: ١٩] ، في الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْشِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِيَتَفَاضَلَ مَا بَيْنَهُمْ)) ، والقرآن فيه إشارة إلى التفاضل في الجنان والتمايز بينها ؛ في سورة الرحمن قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن: ٤٦] ثم ذكر أوصاف هاتين الجنتين، ثم قال بعدها: ﴿ وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن: ٦٢] وذكر أوصافهما ، وفي سورة الواقعة ذكر سبحانه وتعالى أوصاف جنة المقربين وذكر أيضا بعد ذلك أوصاف جنة أصحاب اليمين ، فهي جنان متفاوتة ومتفاضلة في الأنية ، في الطعام ، في الأكل في الأنهار ، فيما أعده الله سبحانه وتعالى من النزل والكرامة لأهلها ، متفاوتة ليست على درجة واحدة ، ولهذا نصح عليه الصلاة والسلام عباد الله نصيحة عظيمة قال: ((إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ)) ؛ هذه نصيحة لعباد الله ، وقد قال الله عز وجل عن هذا الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه ﴿ النَّبِيِّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] ، ولهذا بعض العوام ماغ ينصح لنفسه في هذا الباب ، بعضهم ربما يقول "يا رب أدخلني الجنة ولو عند الباب" ، ما ينصح لنفسه، فانظر لكلام النبي: ((إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ)) ، فنصح عليه الصلاة والسلام كل عبد من عباد الله أن يقبل على الله بصدق واجتهاد وجد وسؤال وإلحاح على الله سبحانه وتعالى ، وليس عزيز على الله سبحانه وتعالى أن يكرم عبده بعالي الدرجات ورفيع المنازل ، فالعبد يجتهد ويسأل ربه الكريم ويتوجه إليه عز وجل بالأعمال الصالحة والدعوات والإقبال على الله عز وجل حتى يلقي الله عز وجل وينال هذا الثواب العظيم .

ثم ذكر أكبر نعيم وأعظمه مما يناله أهل الجنة في الجنة قال : ((وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءً الْكَبِيرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ)) وهذا فيه إثبات الكبرياء صفة لله كما بين ذلك الحديث الذي في الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام : ((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْكِبْرِيَاءُ رِداءً وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا

قَدَفْتُهُ فِي النَّارِ)) ، فالله عز وجل من صفاته الكبرياء ومن صفاته العظمة ، قد كان عليه الصلاة والسلام يقول في ركوعه ((سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة)).

قال: ((وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ)) ومما يوضح هذا أيضا ما جاء في الحديث الذي في صحيح مسلم قال: ((فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى

رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ)). ما ذكر في هذا الحديث هو معنى قوله سبحانه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة ، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم .

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبدالله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .